

الدكتور محمود حمود يبوح عن بعض أئين الآثار السورية

تدمير ممنهج يريد محو ذاكرة السوريين وهويتهم.. والآثار تبقى



تأخذ أعمالنا التنقيب في هذا الموقع خلال هذه المرحلة الصفة الإقذاذية، فالموقع الذي كان مسجلا على لائحة المواقع الأثرية الوطنية منذ ١٩٩٨ تعرض لمخيفة ولأنفس ما زال يتعرض لهذه الأعمال حتى الآن وها هنا يواجه الكثير من الصعوبات والعقبات والتحديات..

بعد هذه الحرب المتوحشة، هل يمكن الحديث عن الوعي بقيمة الإرث الثقافي السوري، وكيف؟ إن حماية التراث الثقافي السوري واجب تقع مسؤوليته على عاتق الجميع من مؤسسات رسمية ومجتمع محلي وأفراد، ومؤسسات دولية وغيرها. فقل السوري الوطني لا بد من الاعتراف بوجود تقصير كبير في بث الوعي بحقيقة وقيمة الحضارة السورية لأبناء شعبنا. لقد فاتنا أن ننشئ جيلاً تعلمه منذ الطفولة ضرورة معرفة هويته وتراثه واحترام الأبناء والأجداد والحفاظ على تراثهم، لم تفعل هذه الأئمة، دون أن نذكر بعض الجهود الفردية التي أثمرت هنا وهناك، وهي جهود استثنائية ومبغزة. وترصيات بعض المعينين بوجود مجتمع محلي استطاع حماية الآثار (من متاحف ومواقع، فيه الكثير من المبالغة، وهنا نؤوه إلى قيام بعض ما يسمون أنفسهم المعارضين، وهم من الذين عملوا في مديرية الآثار سابقاً وخربوها من الداخل، ورضعوا من ضرعها حتى الشمالية، يحاولون الإيحاء ببعض الإنجازات، من قبيل رعاية بعض المواقع والمتاحف، أو ترميم بعض القطع الأثرية. لكن هذه المحاولات في حقيقة الأمر أعمال استعراضية عديمة القيمة، هدفها المتاجرة بقضية الآثار، واستجداء من يدفع رواتبهم بالدولار من خلال إقناعهم أنهم قادرون على العمل على أرض الواقع عبر بعض الموظفين الذين بقوا في مواقعهم، وهي أيضاً محاولة مستقبلية لتبويض وجوههم تجاه الدولة والمجتمع. كل إنسان متحضر يصيبه الذهول مما تعرضت له المواقع الأثرية السورية على يد أبناء البلد قبل غيرهم، هؤلاء الذين كانوا عاقين لوطنهم فأجهزوا على ممتلكاتنا جسداً وروحاً عندما ضعف وبدا يئن من شرسة العدوان. يجب على الدولة أن تحاسب هؤلاء عندما يحين الوقت لذلك. كما أن علينا أن نضع إستراتيجية وطنية تشارك فيها مجموعة من الوزارات بما فيها الإعلام والتعليم والتربية والأوقاف والدفاع وغيرها تعريف أفراد المجتمع المحلي بقيمة هذه الإرث الذي بين أيديهم.

عن وعيا بهويتها، حتى أولئك الذي يمتلكون أعلى الشهادات العلمية، لا بل إن قسماً كبيراً من مجتمعنا ينظر للآثار نظرتة إلى القيمة المادية والنفعية فقط، وبالتالي ساهمت شرائح كبيرة من المجتمع السوري في تدمير المواقع الأثرية السورية وكانت سعيدة بفعاليتها الشنيعة. أقول إن أمثال هؤلاء لا يستحقون العيش في وطن اسمه سورية.

• أين أصبحتم في موسوعة الآثار السورية؟
صدر الآن المجلد الثالث الذي يتضمن المواقع الأثرية التي تبدأ بحرف الباء كما بدأنا الإعداد فنياً للمجلد الرابع، في حين أن لدينا مادة علمية لما لا يقل عن ثلاثة مجلدات أخرى. ونذكر أن الموسوعة تعد الأولى من نوعها في الوطن العربي، وهي تقدم المادة العلمية الرصينة والمختصرة عن كل المواقع الأثرية السورية وعن بعض مواقع سورية الكبرى. وتتألف الموسوعة من أربعة أقسام، تغطي مئات آلاف السنين من الحضارة، هي: قسم ما قبل التاريخ، قسم العصور التاريخية القديمة، قسم العصور الكلاسيكية، وقسم العصور الإسلامية، ويسهم في العمل فيها مجموعة من الأكاديميين والخبراء المتخصصين، كما يشارك فيها أيضاً كثير من الباحثين داخل القطر وخارجه. وتتميز الأبحاث بتناولها كل موقع أثري بلغة واضحة وبأسلوب علمي ومنهجي وصين، ولتقديم لقرء العربية، من مهتمين وطلاب وباحثين، زبدة المعلومات العلمية المتعلقة بكل موقع، والتي توصلت إليها أحدث الدراسات والأثرية والتاريخية.

• ما أهم أعمال التنقيب والاكتشافات الحديثة؟
اكتشفنا العام الماضي منحوتة حجرية كبيرة في بلدة رخله في جبل الشيخ هي الأولى من نوعها في سورية، وضعت فوق مدخل أحد المدافن وهي تمثل كاهنا يظهر بلباسه التقليدي وهو يعتمر قلنسوة، ويمسك بيديه حزمة من أغصان النباتات وفي اليد الأخرى إبريق وهو يقوم برش المادة السائلة في الإبريق على المعبد والمعبدين ومقننات المعبد. كما اكتشفنا لوحتي فسيفساء خلال أقل من شهر في بلدة برهليا في وادي بردى، كان آخرها منذ عدة أيام، هذا إضافة إلى لوحة جنتنا بها منذ ثلاث سنوات من الموقع بمساعدة المجتمع المحلي نظراً لوقوع المنطقة خارج سيطرة الدولة آنذاك، وتحمل جميع هذه اللوحات مشاهد متنوعة هندسية ونباتية ودينية جميلة نفذت بمكعبات حجرية صغيرة ذات ألوان متعددة ويرجع تاريخ اللوحة الأولى إلى القرن الخامس للميلاد، والثانية إلى القرن الرابع والثالثة والأخيرة إلى القرن السادس للميلاد.

بعدم الشعب السوري في مهام استعادة تراثه والحفاظ عليه من خلال تقديم كل أشكال الدعم للمساهمة في ترميم وإعادة أعمر هذا التراث. وقد أقيم على هامش المؤتمر مجموعة أنشطة منها، معرض صور للمواقع الأثرية السورية، وسوق للمنتجات التقليدية السورية، كصابون الغار وزيت الزيتون وغيرها وقد لقي المؤتمر تغطية كبيرة من وسائل الإعلام والصحافة اليابانية وعلى رأسها التلفزيون الياباني NHK، وكان لأعمال المؤتمر صدق كبير في أوساط الشعب الياباني، وأقول إن هذا النوع من الأنشطة مؤثر جداً في الأوساط العالمية التي تقدر التراث الثقافي الإنساني وتحترمه أينما وجد في العالم.

هذه عينة عن قيمة الثقافة السورية في الخارج والأثر الذي تتركه على الشعوب والمجتمعات المحضرة، وأنا على ثقة أن الثقافة تستطيع بناء جسور مهمة بين الشعوب والدول، ولاسيما عندما تقف السبائسة عائقاً في سبيل تحقيق ذلك. وعيننا استغلال هذا الجانب واقتناص أي فرصة في سبيل إيصال الصورة الصحيحة لأكثر الشرائح في مجتمعات هذه الدول، عما تعرضت له سورية بشكل عام وتراثها بشكل خاص. ولكن هناك نقطة في هذا الجانب لا بد من ذكرها وهي، من المعيب أن نرى الأجنبي يهتف بيهتم بحماية آثارنا، ويعمل بكل السبل من أجل الحفاظ عليها وترميمها وصيانتها، وبالقابل نجد شرائح كبيرة من أبناء مجتمعنا السوري ليس لديها الحد الأدنى من هذه المواقف التي تتم

السورية في طوكيو ممثلة للجانب الحكومي السوري. كما افتتحه السيد شوغو أراي حاكم ولاية نارا، والسيد موتومي تاكيساوا معاون وزير الشؤون الخارجية في البرلمان الياباني والسيد فوتوشي ماتسوموتو القائم بأعمال السفارة اليابانية في سورية، وقد زاد من ثراء المؤتمر مشاركة العلماء والباحثين الذين جاؤوا من العديد من البلدان الأوروبية، وشاركت فيه الفئدة اليابانية الكاركاتورية الشهيرة ماري يامازاكي، والسيدة كريستينا مينغازي مندوبة اليونسكو في بيروت، والسيد صموئيل رزق منسق أعمال الأمم المتحدة في سورية. واستعرضت الأوراق المقدمة للمؤتمر حال المواقع الأثرية السورية والأخطار التي تتهددها الجهود التي تبذلها الدولة السورية في سبيل الحفاظ عليها، كما تركزت النقاشات على كيفية حماية التراث الثقافي السوري العريق وضرورة تقديم كل أوجه الدعم لحماية ما تبقى منه وضرورة العمل على مساعدة الدولة والشعب السوري في سبيل إعادة تأهيل المواقع التي تعرضت للدمار والتخريب على أيدي المجموعات الإرهابية، وترميمها والقيام بكل ما يلزم من أجلها، كي تبقى شاهداً للأجيال القادمة على عظمة الحضارة السورية. وانتهى المؤتمر بتوجيه رسالة من نارا تتضمن مجموعة من التوصيات التي نتجت عن المناقشات التي تم طرحها والتي نصب في مصلحة التراث الثقافي السوري، ومنها ما يأتي: ونحن نجتمع في نارا، نؤكد التزامنا

السوري للأجيال القادمة – رسالة من نارا.

• ماذا عن مجريات ونتائج المؤتمر؟ في البداية أقول إن الثقافة قادرة على اختراق أي حصار اقتصادي أو سياسي يفرض على أي بلد، إذا ما كان أداء المثقفين جيداً. كيف بالثقافة السورية ولاسيما بجانبها التراثي؟ فهي تمتلك حضوراً كبيراً على مستوى الكرة الأرضية، ولها احترامها في معظم أنحاء العالم المتحضر. وهنا نذكر أنه كان لدينا في سورية نحو مئة بعثة أثرية أجنبية تعمل للكشف عن كنوزنا الحضارية، وقد قام الكثير من رؤساء هذه البعثات وأعضائها بدور كبير في الدفاع عن سورية منذ اندلاع الأزمة. وكان لهم دور كبير في إيقاظ الرأي العام في بلادهم والوقوف ضد الحملة الإعلامية العدوانية المغرضة التي كانت تتعرض لها الدولة السورية. وهذا ما تحقق في ألمانيا وإيطاليا وفرنسا، والآن في اليابان. وقد شارك سياسيون من هذه البلدان في حضور وافتتاح الكثير من هذه المؤتمرات، وهو تعبير عن قوفهم إلى جانب الدولة السورية التي تحمي تراثها وتعمل على رعايته وصيانتها وترميمه. وقد صرحوا عن موقفهم بشكل واضح وجلي وهذا ما حصل في مؤتمر نارا في اليابان الذي كان لنا شرف حضوره وعقد تحت عنوان: حماية التراث الثقافي السوري – رسالة للأجيال، وديعت لحضوره القائمة بأعمال السفارة

بالإرث الثقافي كاذي حصل في بلادنا على يد التخلف والحقد بكل أشكاله وأدواته.

• هناك حضور ونشاط لمديرية الآثار على المستوى الخارجي، على رغم الحصار الخارجي على سورية، ورغم الاستهداف الدولي والإقليمي للهوية السورية، ماذا عن هذا النشاط؟

للآثار السورية والرافدية قيمة عالمية كبيرة ولكن، وبيا للأسف، لا كرامة لها ولا لمعظم من يعمل فيها في بلداننا، بينما تحظى بكل التقدير والاحترام والتبجيل من شعوب الدول المتقدمة وحكوماتها، ومنها تلك التي تختلف معنا في السياسة. والسبب أن هذه الشعوب تعي قيمة الآثار السورية وتنادي بالحفاظ على الإرث الثقافي السوري لأنه إرث عالمي لا يخص سورية وحدها، لقد نجح علماء الآثار الغربيون الذين عملوا في بلادنا في إيصال قيمة الثقافة السورية ورفعة الحضارة السورية والرافدية وما قدمته للعالم، لشعوبهم وحكوماتهم، وهذا ما ظهر واضحاً في وقوف الكثير في الحروب المستمرة على مشرقنا العربي عندما تنأى الكثير من هؤلاء العلماء للوقوف مع شعوب المنطقة والتمنادة بوقف العدوان من قبلهم. وهنا لا بد من ذكر الموقف المشرف لعالم الآثار الأمريكي مكواير جيبسون خلال العدوان الأمريكي على العراق والنشاط الكبير الذي أداه مع مجموعة من العلماء ودفعوا المنظمات الدولية في سبيل الوقوف ضد تدمير التراث العراقي وقاموا بفضح الأعمال الإجرامية للجيش المظلمة. لقد كان من نتائج عمل البعثات الغربية في مواقعنا الأثرية سابقاً، الكثير من الإيجابيات أهمها تعريف الغربيين بحقيقة هذا التراث الموجود على أرضنا، ومن هنا نجد هذا التعاطف الكبير مع إرثنا الثقافي، نجد المواقف القوية لدى علماء الآثار التي أثرت في كثير من الأحيان على شعوبها وغيرت نظرتها من الأحداث لا بل ساهمت في تغيير الكثير من الحكومات لمواقفها السياسية. لقد تبنى الاهتمام العالمي بآثارنا من خلال القرارات الدوليين ٢١٩٩ و٢٣٤٧ اللذين صدرا عن مجلس الأمن وقضيا بمنع الاتجار بالممتلكات الثقافية في العراق وسورية، كما تجلى في الدعم المادي والثقافي، الذي تلقاه مديرية الآثار من مختلف المنظمات الدولية ومنها منظمة اليونسكو ومنظمة الأمم المتحدة، ومن حكومات الدول المتقدمة التي يعقد على أخص من الكثير من الندوات والمؤتمرات التي تهدف إلى حماية التراث الثقافي السوري وتقديم الدعم اللازم له، وكان آخرها المؤتمر الذي حضرناه في ولاية نارا اليابانية بين ١١-١٧/٧/٢٠١٧، وكان عنوانه «حماية التراث الثقافي

الثقافة قادرة على اختراق أي حصار اقتصادي أو سياسي يفرض على أي بلد



تعقيب على تحقيق نشر في «الوطن» عن المواقع الثقافي في محافظة طرطوس

ر | رمضان عطية

وإذ تكون على هذا البناء وبما تحمله وتمنحه من حرية ومساواة فهي ثقافة جامعة لدى: فرد أو مجموع أفراد وإن أخطأ بعض أعلام الفكر القديم والحديث (وخاصة الحديث) عن فهم العلاقة بين المدينة والثقافة... فإنه منذ وجد الإنسان على وجه الأرض (الذي سيجمل لاحقاً اسم الوطن وفي أي وطن كان) كانت حضارة عربية... وبشقها الأهم: الثقافة العربية... وأن المنطقة (الجغرافيا) الساحلية للأمة العربية وخاصة شرق المتوسط... قد خلقت وأبدعت ثقافتها بثقلها وإنسانيتها وحيث عبرت ومنذ القديم وقبل العصور التاريخية وبعدها وبقطبها الإنساني (المبدع الخلاق) على أنها كانت (بمعنى الوجود المستمر وليس بمعنى الماضي) خير أمة أخرجت للناس. إن أجداننا قسموا المراحل التاريخية إلى قباب (جمع قبة) وإبنا نحيا تحت قبة قائمة نقول عنها إنها: حديثة وراهنة... الخ بعضهم يريد أن يعطي لهذه المرحلة صفات سيئة ورداً على ذلك أقول لنصف أي جانب من حياتنا: السياسية والاقتصادية و بكل ما يتصل بالعلم والصناعة وبما يشاء بعضهم مقدماً للدليل الشخصي على ذلك وعلى رأيه ومسؤوليته غير أن حقيقة قائمة وعلى قاعدة الأصالة والإرث المتواترين فإن شعباً يسكن ما بين ما بعد كسب وحتى سفوح القلمون وحران وإلى ما شئت في العمق الجغرافي (في الوطن السوري) ونحو الشرق... تجد لدى أكثرية الساحقة القدرة على الشعاع الثقافي بدءاً من الزجل والمجانا وانتهاء بكل أصناف النثر والفن والمهن والحرف: والاهتمت شعب فيه ولديه مخزون ثقافي منوع ويغطي مساحة محافظة طرطوس وفي أي شعب من شعابها ومغاويرها وتحت ظلال سديانها وزيتونها... فالكلم يهوى ويعشق الثقافة ويقدر روادها

وإدراكاً من أن هذا البناء وبما تحمله وتمنحه من حرية ومساواة فهي ثقافة جامعة لدى: فرد أو مجموع أفراد وإن أخطأ بعض أعلام الفكر القديم والحديث (وخاصة الحديث) عن فهم العلاقة بين المدينة والثقافة... فإنه منذ وجد الإنسان على وجه الأرض (الذي سيجمل لاحقاً اسم الوطن وفي أي وطن كان) كانت حضارة عربية... وبشقها الأهم: الثقافة العربية... وأن المنطقة (الجغرافيا) الساحلية للأمة العربية وخاصة شرق المتوسط... قد خلقت وأبدعت ثقافتها بثقلها وإنسانيتها وحيث عبرت ومنذ القديم وقبل العصور التاريخية وبعدها وبقطبها الإنساني (المبدع الخلاق) على أنها كانت (بمعنى الوجود المستمر وليس بمعنى الماضي) خير أمة أخرجت للناس. إن أجداننا قسموا المراحل التاريخية إلى قباب (جمع قبة) وإبنا نحيا تحت قبة قائمة نقول عنها إنها: حديثة وراهنة... الخ بعضهم يريد أن يعطي لهذه المرحلة صفات سيئة ورداً على ذلك أقول لنصف أي جانب من حياتنا: السياسية والاقتصادية و بكل ما يتصل بالعلم والصناعة وبما يشاء بعضهم مقدماً للدليل الشخصي على ذلك وعلى رأيه ومسؤوليته غير أن حقيقة قائمة وعلى قاعدة الأصالة والإرث المتواترين فإن شعباً يسكن ما بين ما بعد كسب وحتى سفوح القلمون وحران وإلى ما شئت في العمق الجغرافي (في الوطن السوري) ونحو الشرق... تجد لدى أكثرية الساحقة القدرة على الشعاع الثقافي بدءاً من الزجل والمجانا وانتهاء بكل أصناف النثر والفن والمهن والحرف: والاهتمت شعب فيه ولديه مخزون ثقافي منوع ويغطي مساحة محافظة طرطوس وفي أي شعب من شعابها ومغاويرها وتحت ظلال سديانها وزيتونها... فالكلم يهوى ويعشق الثقافة ويقدر روادها

وإدراكاً من أن هذا البناء وبما تحمله وتمنحه من حرية ومساواة فهي ثقافة جامعة لدى: فرد أو مجموع أفراد وإن أخطأ بعض أعلام الفكر القديم والحديث (وخاصة الحديث) عن فهم العلاقة بين المدينة والثقافة... فإنه منذ وجد الإنسان على وجه الأرض (الذي سيجمل لاحقاً اسم الوطن وفي أي وطن كان) كانت حضارة عربية... وبشقها الأهم: الثقافة العربية... وأن المنطقة (الجغرافيا) الساحلية للأمة العربية وخاصة شرق المتوسط... قد خلقت وأبدعت ثقافتها بثقلها وإنسانيتها وحيث عبرت ومنذ القديم وقبل العصور التاريخية وبعدها وبقطبها الإنساني (المبدع الخلاق) على أنها كانت (بمعنى الوجود المستمر وليس بمعنى الماضي) خير أمة أخرجت للناس. إن أجداننا قسموا المراحل التاريخية إلى قباب (جمع قبة) وإبنا نحيا تحت قبة قائمة نقول عنها إنها: حديثة وراهنة... الخ بعضهم يريد أن يعطي لهذه المرحلة صفات سيئة ورداً على ذلك أقول لنصف أي جانب من حياتنا: السياسية والاقتصادية و بكل ما يتصل بالعلم والصناعة وبما يشاء بعضهم مقدماً للدليل الشخصي على ذلك وعلى رأيه ومسؤوليته غير أن حقيقة قائمة وعلى قاعدة الأصالة والإرث المتواترين فإن شعباً يسكن ما بين ما بعد كسب وحتى سفوح القلمون وحران وإلى ما شئت في العمق الجغرافي (في الوطن السوري) ونحو الشرق... تجد لدى أكثرية الساحقة القدرة على الشعاع الثقافي بدءاً من الزجل والمجانا وانتهاء بكل أصناف النثر والفن والمهن والحرف: والاهتمت شعب فيه ولديه مخزون ثقافي منوع ويغطي مساحة محافظة طرطوس وفي أي شعب من شعابها ومغاويرها وتحت ظلال سديانها وزيتونها... فالكلم يهوى ويعشق الثقافة ويقدر روادها

نشرت صحيفة «الوطن» على الصفحة العاشرة: ثقافة وفن دراسة أعدتها مشكورة سناء أسعد العدد الثلاثاء آب ٢٠١٧ وحيث لهذا الموضوع أهمية (الثقافة) في الإطار العام: حيث تتعلق بمعوقات ومشكلات تتعرض لها وتتأثر بها الحضارة بشقيها المدنية والثقافية وبما للثقافة من معان إنسانية وبما يتوفر (وحتماً) من علاقة بين المدنية والثقافة وفي الإطار المحلي فإن موضوع المقال – الدراسة يختص بحفاظة طرطوس ورغبت أن أقدم آراء وإضافات على ما جاء بالدراسة وعلى ما ورد من تقييمات واقتراحات مقدمة من الأساتذة الكرام الذين أقدروهم ووفقاً لما اتسع لهم المقال – الدراسة من إبداء رأي وملاحظات ومقترحات والتي جاءت مطابقة لواقع الحال وهو الحال الذي غير ولم يكن كذلك عبر تاريخ محافظة طرطوس كما يجب أن تعمل على تجديده وتجاوز الحالة الثقافية الراهنة في المحافظة والتي أشار إليها المثقفون والأدباء والشعراء من محافظة طرطوس وحسب الأسئلة التي طرحت عليهم.

ووفقاً لما اتسع لهم المقال – الدراسة من إبداء رأي وملاحظات ومقترحات والتي جاءت مطابقة لواقع الحال وهو الحال الذي غير ولم يكن كذلك عبر تاريخ محافظة طرطوس كما يجب أن تعمل على تجديده وتجاوز الحالة الثقافية الراهنة في المحافظة والتي أشار إليها المثقفون والأدباء والشعراء من محافظة طرطوس وحسب الأسئلة التي طرحت عليهم.